" دمُّون " عبر العصور التاريخية من قاعدة مملكة كندة في العصر القديم إلى مركز الدولة القعيطية في العصر الحديث

عبدالقادر عبدالرحمن علي بن شهاب*

الملخص

تتناول هذه الدراسة مسار التطوُّر التاريخيَّ لمدينة دمُون، بدءًا من بروزها كقاعدة لمملكة كندة في العصر القديم، وصولًا إلى مكانتها المحورية كمركز إداري وسياسي وثقافي للدولة القعيطية في العصر الحديث.

ويهدف البحث إلى توثيق الأدوار السياسية والثقافية والاجتماعية وتحليلها، التي اضطلعت بها دمُون عبر العصور التاريخية المختلفة.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي في إطار تاريخي، حيث تناولت مكانة دمُون في مرحلة ما قبل الإسلام، ثُمَّ في ظِلِّ الحُكم الإسلاميّ، تَلتْها فترةُ حُكمِ الطَّوائف القبليَّة، وحديثًا مرحلة الدولة القعيطيَّة، مع التأكيد على أهمية صَوْنِ هُوِيَّةِ دمُونَ التاريخيَّةِ والتراثيَّة.

الكلمات المفتاحية: دمُون، مملكة كندة، العصر القديم، العصر الإسلامي، الطوائف القبلية، الدولة القعيطية، العصر الحديث.

المقدمة:

تعدُّ مدينة دمُون إحدى أبرز الحواضر التاريخية في وادي حضرموت، بل في حضرموت واليمن والجزيرة العربية بشكل عام؛ إذ احتضنتْ عبر العصور التاريخية ممالكَ ودُوَلًا، أدَّتْ أدوارًا بارزة في تشكيل المشهد السياسي والثقافي في جنوب الجزيرة العربية، خاصَّةً في العصور القديمة؛ إذ بدأت دمُون كقاعدةٍ وركيزةٍ أساسيَّةٍ، ومقرًّا للحُكم والسُّلطة لمملكة كندة الشهيرة، إحدى الممالك العربية القديمة، التي ازدهرت في جنوب الجزيرة العربية، وامتدَّ نُفوذُها في مرحلةٍ ما إلى أجزاءَ واسعةٍ من جزيرة العرب، والتي شكّلتْ مركزًا سياسيًا وتجاريًا وثقافيًا مهمًا.

احتفظت "دمُون" بمكانة خاصة خلال العصر الإسلامي، مرورًا بعصر الطوائف القبلية، لتتطوّر وتتحوّل لاحقًا إلى جزءٍ مهم من الدولة القعيطية، التي ظهرت في العصر الحديث، هذه الدولة التي حكمتْ أجزاء واسعة من حضرموت والجنوب اليمني، حتى أصبحتْ دمُونُ مركزًا إداريًا وسياسيًا للدولة القعيطية لجميع تُخُوم المناطق الشرقية وجِهَاتِهَا في وادي حضرموت.

لقد ظلّت مدينة "دمُون" خلال تاريخها الطويل هدفًا ومطمَعًا لجميع الدول والممالك والسَّلطَنَاتِ والطوائف والكِيَانات، في محاولةِ إخضاعها وفرضِ السيطرة عليها، واستغلالِ موقِعِها الاستراتيجيّ المهم، واستثمارِ مواردِهَا الطبيعيَّة من المياه النقيَّة، والأراضي الزراعية الخِصْبَة.

يمثّل هذا البحثُ محاولةً علميَّةً في تتبُّع تطوُّر المسار التاريخيّ لمدينة دمُون عبر العصور التاريخية السابق ذكرها؛ إذ يهدف البحث إلى إبراز الدَّور المتغيّر لمدينة دمُون في كل عصر ومرحلة، وتحليلِ التحوُّلات السياسية والاجتماعية والثقافية التي مرّت بها وتفسيرُها، واستعراض ملامح دَوْرِها الاستراتيجي كقاعدةٍ ملكيَّةٍ لمُلُوكِ كِندَةَ (قديمًا)، ومَركَزٍ سياسيٍّ للدَّولَةِ القعيطيَّة (حديثًا)، وحَلْقَةِ وَصلٍ بين مناطق حضرموت الشرقية، ومناطق حضرموت الغربية.

وتكمُن أهميَّة البحث في قلَّة الدراسات والبحوث المتخصصة عنْ مدينة دمُون ككيانٍ تاريخيٍّ وتُرَاثِيٍّ مُتَكَامِلٍ ومُستَقِلّ، رغمَ ما تَملِكُهُ من إرثٍ غَنِيٍّ من الشواهد المادّيَّةِ والمعنويَّةِ التي تدل على قِدَمِهَا

* أستاذ الاعلام المساعد – بجامعتي عدن وسيئون.

وازدهارها الحضاريّ، كبقايا أسوارٍ، وحُصُون، ومواقِعِ دَفْن، ومراكزِ عِبَادَة، وغُدرَان، وقِطَعٍ فخاريَّة، وأدواتٍ معدِنِيَّة، وموادَّ مِعمَارِيَّة، وغيرها، وإن كانَ غالبُها لمْ يُستكْشَفْ عِلمِيًا بشَكلٍ كاملٍ إلى اليوم.

مشكلة البحث:

رغم الأهمية التاريخية لمدينة دمُّون ما تزال الدراسات عنها محدودة، ولا تُبرُزُ بما يكفي تحوُّلاتها من قاعدةٍ ملكيَّةٍ للحُكمِ في العصر القديم، إلى مركزٍ إداريٍّ وسياسيٍّ وثقافيٍّ في العصر الحديث، لذلك يُمَثِّلُ هذا البحثُ محاولةً في تَتَبُّعِ تطوُّرِ المسَار التاريخيّ لمنطقة دمُّون عبرَ العصور التاريخية المختلفة، منذُ أنْ كانت قاعدةً وركيزةً أساسيَّةً ومقرًا للحُكمِ والسُّلطَةِ لمملكة كِندَةَ التاريخية في العصر القديم، مرورًا بالعصر الإسلامي، ثُمَّ عصر الطوائف القبليَّة، وُصُولًا إلى المركز الإداري والسياسي في الدولة القعيطية في العصر الحديث.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى إبراز الدور المتغيّر لمدينة دمُّون في كل عصر من عصور التاريخ (القديم والوسيط والحديث)، وتحليل التحوُّلات السياسية والاجتماعية والثقافية التي مرَّتْ بها وتفسيرها، واستعراض ملامح الحياة العامة والخاصة لمدينة دمُّون في هذه العصور التاريخية.

أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهميته من خلال سدِّ الفجوة المعرفية المتعلقة بتاريخ مدينة "دمُّون" في العصور التاريخية التي مرَّتْ بها، وما جرى فيها من أحداث وأدوار وتحوُّلاتٍ ومتغيّراتٍ وتطوُّرات، كما يُعَزِّز فَهْمَ التحوُّلات السياسية والاجتماعية والثقافية للمنطقة، ويقدّم مادَّةً علميَّةً تُسهِم في الحفاظ على التراث التاريخي للمنطقة، وتعزيز الوعي بأهميَّتها، وتكمُن أهميَّة البحث في قلة الدراسات والبحوث المتخصصة عن مدينة دمُّونَ ككيانٍ تاريخي مستقل، رغمَ ما تملكه من إرثٍ غَنِيٍّ، وشَوَاهِدَ مادِّيَّةٍ ومعنويَّة.

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي الوصفيّ التحليليّ؛ إذ تمَّ جمعُ البيانات من المصادر التاريخية المكتوبة والمراجع الأثريَّة، من كُتُبٍ ودراساتٍ وبُحُوثٍ ومخطوطات، وكذلك من الشواهد المادية والمعنوية، مع تحليلِ هذه البيانات وتفسيرها؛ لفهم طبيعة تطوّر مدينة دمُّون وتحوُّل أدوارها عبر العصور التاريخية المختلفة، ومقارنة ملامحِ التحوُّلات السياسية والإدارية لمنطقة دمُّون عبرَ الحِقَبِ التاريخيَّة المختلفة.

المدخل

(دَمُّون) – بفتح الدال وتشديد الميم – أوردها "ياقوت" في حرف الدال المهملة، وأورد كلام الهمداني ورسمَها أيضًا في حرف الذال المعجمة، وبعد أن ضبطها بالحرف، قال هو الموضع الذي كان امرؤ القيس يشربُ فيه، فجاءه الوَصَّافُ ينعي أباه فقال امرؤ القيس:[1]

تطاوَلَ اللَّيلُ عَلَيْنَا دَمُّونُ

دَمُّونُ إنَّا معشرٌ يمانِيُّونَ

وإنَّنَا لِأَهْلِنَا مُحِبُّونَ

هناك جملة من المؤرخين الذين رصدْنا أقوالهم مِمَّنْ يؤكِّدُ أن (دمُّون) الشرقية الواقعة في مدينة تريم في محافظة حضرموت، هذه هي التي عناها امرؤ القيس، وأنها قاعدة ملوك كندة، وغيرهم من المؤرِّخين يرون أنها (دمُّون) الغربيَّة الواقعة في مدينة الهجرين بحضرموت.

ووادي (دمُّون) الذي يقع في مدينة تريم، هو وادٍ واسعٌ مفرّعٌ، به من النخيل المصطفّة الكثيرة، والأراضي الزراعية الواسعة الطيّبة، التي تُزرَعُ بها الخضار وأنواعُ الحبوب، كالقمح والذُّرَة، ويشكّل وادي (دمُّون) مع وادي عيديد كالجناحين لمدينة تريم، حيثُ يقع

وادي (دمُّون) في الجهة النجدية (الجنوبية) الشمالية لمدينة تريم، ويقابله في الجهة البحرية الغربية وادي عيديد، وكلاهما مصدرُ إنتاجٍ غذائيٍّ لسُكّان مدينة تريم المحروسة.[2]

وموقع (دمُّون) الجغرافي في موقعها الحالي اليوم، في الناحية الشرقية الشمالية من مدينة تريم، وبالتحديد على يسار الخارج من تريم إلى جهة الشرق؛ إذ أصبحت (دمُّون) اليوم في التقسيم الإداري حَيًّا من أحياء مدينة تريم في محافظة حضرموت بالجمهورية اليمنية، بعد ما كانت سابقًا موطنًا وكيانًا مستقِلًّا بذاته عن تريم، أوْ كانت جزءًا منها في وقتٍ ما مِن تاريخها.

ولم تكن (دمُّون) في سابقِ عَهْدِها جزءًا من مدينة تريم، سواء كان هذا موقعها اليوم، أو كان لها موقعٌ آخر؛ إذ لمْ يَرِدْ لها ذكرٌ في المصادر الموثوقة أنَّها كانت جُزءًا من مدينة تريم، في وقتٍ من الأوقات، بِقَدرِ ما تُؤَكِّدُهُ تلك المصادرُ أنَّها مدينةٌ مستَقِلَّةٌ عن مدينة تريم في كل أدوار تاريخها إلى ماقبل الإستقلال في نهاية الستينيات من القرن الميلادي الماضي.[3]

تؤكد مصادر المؤرخين قِدَم المدينة (دمُّون) وانفصالها عن مدينة تريم، واستقلالها بصورة أو بأخرى، سواءً مصادر النقوش، أو التاريخ المكتوب، أو في الشواهد المادية والمعنوية؛ إذ دائمًا ما يتردَّدُ ذِكرُها كثيرًا في مدوَّنات التاريخ القديم أنّ (دمُّون) هي قُرْبُ المدينة تريم، أو المجاورة لتريم، وهو ما نَجِدُهُ دائمًا في إشارات المؤرِّخين عند الحديث عنها؛ إذ يُعبَّرُ عنها دائمًا بمقولة والي دمُّون، أو مقر الوالي، أو قاعدة المُلك، أو مقرّ الحُكم، أو مركز الدولة.

" دمُّون " في العصر القديم – قاعدة مملكة كندة

ظهرت دمُّون في عصور التاريخ القديم كواحدة من أبرز الحواضر التاريخية في جنوب الجزيرة العربية، وقد ارتبط اسمُها بواحدةٍ من أبرز الممالك العربية القديمة، وهي مملكة كندة الشهيرة، حيث برزت دمُّون كقاعدة وركيزة أساسية ومقرًا للحكم والسلطة لمملكة كندة العربية.

جاء في كتاب الإكليل (خودون ودمُّون) مدينتان عظيمتان من الهجرين بحضرموت، عامرة بالأهل والسكان على جبل مَنِيف، فالجبل بين القريتين كالجمل البارك، وفيهما يقول القائل: خودون ودمُّون كفة بكفة والنخل والذبر بهما محفة.[4]

وبالنظر إلى ما جاء في الإكليل من أنَّ دمُّون الشرقية ودمُّون الغربية بحضرموت، كلتاهما عامرة بالأهل والسُّكَّان في الزمن السابق، ولكنْ لمْ تَعُدْ أيٌّ منها عامرة إلا دمُّون الشرقية التي بقرب تريم، إذْ إنَّ هناك كثيرًا من المؤرّخين والذين رصدنا أقوالهم وشواهدهم يؤكدون أن (دمُّون / تريم) هذه هي التي عناها امرؤ القيس في أشعاره، وأنها قاعدة ملوك كندة باليمن والجزيرة العربية، على خلاف مع مؤرِّخين آخرين مِمَّن يقولون إنها (دمُّون / الهجرين).

ويقول المؤرخ عبدالقادر الصبّان: دمُّون هي القرية التي هي الآن تابعة لمدينة تريم، كانت عامرة، وقد أثبتت النقوش الأثرية قِدَم المدينة، وأنها ذات قيمة تاريخيَّة من قبل الميلاد بقرون عدة، وكانت دمُّون تابعة لحمير قبل الميلاد، ونزحتْ إليها كندة بعد مقتل ابن الجون.[5]

وقد ورد اسم "دمُّون" في النقوش اليمنية الأثرية القديمة، منها نقشٌ شهيرٌ يُعرَف بنقش "كندة"، وهذا النقش محفوظ في المتحف الوطني بصنعاء، يُوثِّق علاقات هذه المملكة مع ممالك اليمن الأخرى، مثل سبأ، وحمير.

والواقع أنَّ النقوش الأثرية اليمنية القديمة التي عثر عليها الأثريُّون تؤكد قِدم المدينة (دمُّون / تريم)، فقد وجدوا نقشًا – لسعد تالب – يتلف الجدني – يصف حملة سبئية في نهاية القرن الثالث للميلاد بأنهم – أي السبئيون – أغاروا

على تريم وحاصروها ونهبوا كرومها، وأغاروا على دمُّون جوار تريم مباشرة ومشطة.[6]

ويتحدث نقش أرياني (32) عن قطع ألفي عريشة من عرائش العنب في ضواحي مدينة تريم، مما أرغم سكانها على الاستسلام، وفي نقش أرياني آخر يعود لبداية القرن الرابع الميلادي، وفيه: (أنهم – أي السبئيون– أغاروا على تريم فاكستحوا مدينتهم بعد حصار دام اثني عشر يومًا، عن قطع ألفي عريشة من عرائش العنب في تريم وحدها، وبعد ذلك أغار على دمُّون الواقعة بالقرب من مدينة تريم، ومشطة، وحصن كليب فاستسلمت له هذه المدن.[7]

ولعل في هذا ما حدا بأحدهم إلى القول: إن (دمُّون / تريم) هي التي عناها امرؤ القيس، والذي عاش في القرن السادس الميلادي، فلقد أحاط بدمُّون (الغدر / الغدران) وهي المواقع التي تحتفظ بمياه الأمطار والسيول لأيام وأسابيع، ولأشهر، مثل: "غدير ناصر (رزم ناصر)، و"باعجلان"، و"الفراشة"، و"المقود"، و"الركبان"، وهذه كلها مواقع جبلية قريبة من البلدة دمُّون وهي مواقع لقناصة الوعول، تحتفظ بمياه الأمطار والسيول في الغُدُر لأشهر.

وهي كذلك تتَّسم بانعزالها عن التجمُّعات السكنيَّة وقربها من مواقع صيد قنص الوعول ومراعيها في تلك الهضاب والشعاب، فضلًا عن مجاورتها لمدينة تريم، وهي معروفة برياضها وبساتينها وطِيبِ هوائها وعرائش العنب فيها، وهي – دمُّون– مصدر الشرب (الخمر)، حيث يوجد بها معامل الخمر، مما يعني أن مواقع اللهو والعبث مستكملة حلقاتها في دمُّون هذه، على وفق وصف امرؤ القيس، وما جُبِل عليه من حُبِّه للهو والعبث أكثر من غيرها، وفارق الزمن ليس مشكلة، فلعلّ البلدة – دمُّون – حافظت على المرورث إلى أن جاء الإسلام.[8]

وكان حكام كندة يراسلون ملوك الروم واليمن ويغمرونهم بالهدايا النفيسة التي كان أحسنها (الخيل)، التي كانت توجد بكثرة في حضرموت الشرقية، حيث الحشائش والأعشاب، وكانوا مُولَعِين بشرب عصارة الأعناب، وكانت لهم معامل للخمر في دمُّون عاصمة مملكتهم بحضرموت الوسطى، وحضرموت الوسطى من الفرط غربًا إلى قبر نبي الله هود عليه السلام.[9]

وفي نهاية القرن السادس الميلادي وبداية القرن السابع، كانت كندة بحضرموت مقسّمة إلى عددٍ من القبائل والبطون التي لم يستطع أيٌّ منها أن يبرز على الآخر ويفرض زعامته واقعيًا للسيطرة على بقية الفروع، ولكن في بداية القرن السابع الميلادي لم تكن سكنى كندة في غربي حضرموت فقط، ولكن كانت لها أيضًا مثاوي في شرقيها مبعثرة على طول الوادي، فقرى قبائل بني هند تقع في النهاية الشرقية لوادي حضرموت حتى وادي برهوت، وكذلك تريم التي كانت مقرًا لملوك بني عمرو بن معاوية في الجزء الرئيسي من وادي حضرموت.[10]

ومن المعروف أن قبيلة كِندة صاحبة الحول والطول والصولجان، عندما جاء الإسلام، وكانت أربع طوائف تحكم الشواطئ من حدود ظفار إلى المكلا، التي كانت إذ ذاك أكواخًا للصيادين، وعاصمة هذه الولاية الشحر، وطائفة تحكم جميع دوعن، وطائفة تحكم الكسر كله والعجلانية وحورة وسدبة والهجرين وعندل ولحروم وحريضة، ومركز هذه الولاية حورة، وطائفة تحكم كل البلاد الواقعة بين (مَنْوَبْ) وشِعب قبر نبي الله هود عليه السلام، وعاصمة هذه الولاية "دمُّون"، وهي قاعدة ملوك كندة، وكندة لقب لثور بن عفير بن الحارث بن مرة، وعاصمة مدينة ملكهم "دمُّون".[11]

وعُفير أول من لقّب كندة لأنه كَندَ أباه نعمته، أي جحدها وكفر بها، أجلوا من البحرين والمشقر بعد مقتل ابن الجون، وكان الذي نقل منهم إلى حضرموت نيفًا وثلاثين ألفًا، أقاموا في الشحر ودوعن والكسر

وعندل والهجرين ورخيه ودهر وسدبة وحورة ومنوب ودمُّون.[12]

ويقول دبليو اتش إنجرامس مؤلف كتاب "حضرموت": لقد كان حجر بن عُفير المرار يسكن دمُّون، وكان شجاعًا مشهودًا له بالإقدام، وحين سمع بنبأ مملكة أبيه وعرف نصيبه منها، ترك امرأ القيس في دمُّون وعاد إلى نجد، وكان حجر – والد امرئ القيس– قاسيًا في حكمه، سيء السيرة، قبيح المعاملة، فتنكر عليه بنو أسد، فقاتلهم حتى قهرهم، ثم هجموا عليه وقتلوه غِيلة في دمُّون.[13]

وما يرجّح كون (دمُّون / تريم) حاضرة ملوك كندة، أن ابن خلدون عدَّ دمُّونَ – التي بها شعر امرئ القيس – عدَّها (قاعدة مُلك كندة)، وتريم كانت قاعدة بني عمرو – آباء امرئ القيس – وهي من موضع الملوك من بني عمرو بن معاوية (مِخوَس ومِشرَح وجَمد وأبضَعَة) يقينًا، فدمُّون تريم، أقرب من دمُّون الهجرين، لذلك، وأقوى وأرجح من وجود كندي واحد سيَّارا – أعني امرأ القيس.[14]

ثم إنَّ الهمداني إنَّما عدَّ (دمُّون / الهجرين) من مدن الصدف، فلو احتجّ قائلٌ: لكنه ذكر أنَّ سُكنَى بني الحارث – جد امرئ القيس بن حُجْر – ابن عمرو المقصور بن حُجْر آكل المرار بن عمرو بن معاوية كان بدمُّون الهجرين ؟

فالجواب: الحارث بن عمرو هذا إنما كان ملكًا في نجد ستين سنة، وابنه حُجْر – والد امرئ القيس – إنما كان ملكًا على بني أسد وكنانة بنجد كذلك وليس بحضرموت، وقد قال السقاف في كتابه إدام القوت: الظاهر أن الهمداني لم يأخذه عن نص، وإنما استنتجه من شعر امرئ القيس، ولا دليل فيه، ما لم يعنِ أعقابًا لإمرئ القيس في هذه البلاد لم ينتهِ إلينا خبرهم.

وقال شارح قصيدة السيد عبدالله بن علوي الحداد، حفيده أحمد بن حسن الحداد، الذي يقول فيها: (أيام كنا بدال ميم، بالوادي المنور، بجانب السفح من تريم، والعيش غض أخضر).

قال: (دال ميم هو وادي دمُّون بتريم، سمي باسم دمُّون بن الصدف، واسم الصدف: مالك بن مرتع من كندة الحضرمي، أصاب دمًا من قومه أي دمُّون، فلحق بثقيف وبنى بها سُورًا طائفًا بهم فسُمِّي حينئذ الطائف، البلد المعروف والذي يوجد فيه قبر حبر الأمة الإمام عبدالله بن عباس رضي الله عنه).[15]

وفي "الروض الأُنف"، يقول عن ابن الصدف: (إن الدمُّون بن الصدف، واسم الصدف ملك بن مالك بن مرتع من كند' من حضرموت، أصاب دمًا من قومه فلحق بثقيف فأقام فيهم، وقال لهم: ألا أبني لكم حائطًا يطيف ببلدكم، فبناه، فسُمِّي به الطائف، وذكره البكري في (معجم ما استعجم)، هكذا قال: وإنما هو الدمُّون بن عبيد بن مالك بن دهقل، وهو من الصدف وله ابنان أدركا النبيَّ ﷺ وبايعاه، اسم أحدهما الهميل والآخر قبيصة.[16]

وعن السلطان غالب بن عوض القعيطي: أن مدينة دمُّون التي أسست – كندة – فيها مقرَّها السياسي رمزًا لنفوذ سيادتها القبلية، ولئن أصبحت دمُّون مدينة صغيرة في أنظارنا اليوم مقارنة ببعض المدن الأخرى لهذا العصر، فلقد كانت في يومها مصدرًا وموضعًا للمدح والثناء من قبل "الملك الضليل" الشاعر امرئ القيس الكندي (المتوفى عام 540م) صاحب إحدى المعلقات السبع الشهيرة.[17]

وذكر المؤرخ السيد ابن عبيداللاه السقاف: أنْ قال بعضهم – أي كندة – أصلهم من البحرين، وأنهم أجلوا إلى حضرموت وعددهم ثلاثين ألفًا، وأقاموا في موضع يشرف على حضرموت وتصب أوديته لها، ثم إلى المهرة، واسم قصبته الكبرى "دمُّون".[18]

ويقول: "روبرت سرجنت" في التعريف بالمعلم الشاعر سعيد عبدالحق: (وهو من أهالي دمُّون على مقربة من

تريم وهي البلدة التي ينتسب إليها إمرؤ القيس).[19]

إن كل هذه الروايات والشواهد التاريخية التي أوردناها من المصادر التاريخية المتعددة تؤكد أنَّ (دمُّون / تريم) شكّلت قاعدة مركزية ذات أهمية بارزة لملوك كندة في العصر القديم، بما تتمتع به من موقع استراتيجي ودور سياسي وثقافي مؤثر في تلك الحقبة التاريخية القديمة.

زيادة على ذلك أنه ما زالت (دمُّون / تريم) تحتفظ بعدد من الشواهد المادية التي تدل على قدمها وازدهارها الحضاري والتاريخي، وأنها كانت قاعدة ملوك كندة في العصر القديم، وتشمل تلك الشواهد المادية: (بقايا أسوار، وحصون، ومواقع دفن، ومراكز عبادة، وغدران، وقطع فخارية، وأدوات معدنية، ومواد معمارية)، وغيرها، وإن كان غالبها لم يُستكشف علميًا بشكل كامل حتى اليوم.

" دمُّون " في العصر الإسلامي

شهدت "دمُّون" مرحلة انتقالية مهمة من كونها قاعدة وركيزة أساسية لنظام مملكة كندة قديمًا، إلى اندماجها ضمن إطار الدولة الإسلامية، في عصر الخلافة الإسلامية، بدءًا بدخولها في الدين الإسلامي في مرحلة عصر النبوة، ثم انتقالها واندماجها ضمن سلطة حكم مرحلة عصر الخلافة الراشدة، وهكذا إلى مرحلة عصر الدولة الأموية، ثم إلى حكم الدولة العباسية.

من أبرز ملامح هذه المرحلة التي عاشتها مدينة "دمُّون" هو الإندماج في الحضارة الإسلامية، فقد دخلت دمُّون الإسلام في القرن الأول الهجري، ضمن قبائل حضرموت التي استجابت للدعوة الإسلامية في عهد النبوة، وفي عهد الخلفاء الراشدين، وأصبحت دمُّون جزءًا من الدولة الإسلامية الكبرى ذات سلطة القرار المركزي الواحد.

كذلك من أبرز ملامح معاصرة مدينة "دمُّون" لتحوُّلات مرحلة العصر الإسلامي ومتغيراتها، هو أنَّ موقع (دمُّون) مثّل هدفًا ومطمعًا لدى سلطات الحكم الإسلامي خلال فترات دولة عصر النبوة، وحُكم الخلافة الراشدة، ثم سلطة دولة بني أميَّة، ثم دولة بني العباس، ومحاولة كل هذه الكيانات والدول الإسلامية إخضاعها وإحكامها وفرض السيطرة عليها، من أجل استغلال موقعها الاستراتيجي كحلقة وصلٍ بين مناطق حضرموت الشرقية والغربية، يعطي دلالة قويَّة أنَّ المنطقة والموقع (دمُّون) لم تكن مجرَّدَ موقعٍ عابر، بل هي مدينة ذات عُمقٍ استراتيجي حضاري وسياسي واقتصادي وتاريخي ضاربٍ بجذوره في جنوب الجزيرة العربية.

بالرغم من توالي مراحل أنظمة الحكم المركزي الإسلامي من دولة عصر النبوة، إلى الخلافة الراشدة، ثم إلى الخلافة الأموية والعباسية، أوجدتْ قوة سلطة حكم المركز الإسلامي نوعًا من الإستقرار المجتمعي المحلّي لدمُّون، احتفظتْ فيها بهُوِيَّتها المحلية وتكيّفت بطبيعتها المرنة مع مجمل التحوُّلات السياسية الإسلامية، وساعدها هذا الاستقرار السياسي، وانعكس إيجابيًا على مجالات الحياة الاجتماعية والدينية والعلمية والاقتصادية المعيشية في أساليب استغلال المياه والأراضي الزراعية في وادي دمُّون الخصيب.

لقد استفادتْ مدينة دمُّون من قوة سلطة المركز الإسلامي في ازدهار الحياة الدينية والعلمية، فقد ازدهرت "دمُّون" بالنشاط الديني والعلمي في هذه المرحلة، فقد أُنشئت فيها المساجد والمصلَّيات وازدهر التعليم الديني التقليدي، وارتبطت بالمدينة العلمية والدينية "تريم" بحكم القرب الجغرافي؛ إذ استفادت من إشعاعها العلمي والديني.

وكون موقع "دمُّون" الجغرافي مجاورًا لمدينة "تريم"، فقد دخل الإسلام إلى مدينة تريم في السنة العاشرة للهجرة، وقد اعتنق أهالي تريم الإسلام في عهد النبوة، عندما عاد وفد حضرموت من عند الرسول صلى الله

عليه وسلم بالمدينة المنورة، وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم أول عامل له على حضرموت وهو زياد بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه.

ولمّا انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ارتدّ كثير من المسلمين، وذَكَرَ المؤرّخون أنّ أهل تريم لم يرتدوا وبقوا على إسلامهم، وعندما وصل كتاب الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى عامله زياد بن لبيد الأنصاري قرأه على أهل تريم فبايعوا لأبي بكر الصديق بالخلافة.

وسُميت تريم حينها بمدينة الصديق رضي الله عنه لأنّ عاملَهُ زياد بن لبيد الأنصاري، لمّا دعا لبيعة الصديق أول مَنْ أجابه أهلُ تريم ولم يختلف عليه أحد منهم، ولمْ يرتَدُّوا عن دين الإسلام بعد موت الرسول ﷺ، كغيرهم من العرب الذين ارتدُّوا بعد موت الرسول ﷺ، وكتبَ زياد بن لبيد الأنصاري للخليفة أبي بكر الصديق بذلك، فدعا لهم الخليفة أبي بكر الصدّيق بثلاثِ دعواتٍ: (أنْ تكون معمورة، وأنْ يُبارك في مائها، وأن يكثُر فيها الصالحون).[20]

وقد ارتدّ نفرٌ من كندة فقاتلتهم جيوش المسلمين، وكان لأهل تريم ممن ثبتوا على إسلامهم دور في قتال المرتدين؛ إذ كانت المعركة الفاصلة التي انتصر فيها جيش المسلمين في المنطقة المعروفة بحصن (النجير) الواقع شرقي المدينة تريم بحوالي 30 كيلو مترًا، وجرح في هذه المعركة عدد من الصحابة فجاءوا إلى المدينة "تريم" للتداوي بها، فماتت جماعة منهم ودفنوا في مقبرة زنبل بتريم، في المكان المعروف بمقبرة الصحابة البدريين؛ لكونهم شهدوا بدرًا مع النبي ﷺ.

والملاحظ أن المنطقة المعروفة بشرق المدينة تريم هي (دمُّون وتخومها الشرقية)، والتي فيها قاعدة كندة وكانت حاضرتها "دمُّون"، وتمتد المنطقة شرق تريم (من دمُّون إلى شعب نبي الله هود وإلى المهرة وظفار)، وموقع حصن (النجير) الكائن شرق تريم، يقع جغرافيًّا ضمن تخوم (دمُّون)، وهو المكان الذي دارت فيه المعركة الفاصلة مع المرتدِّين، وجرح واستشهد فيها جماعة من الصحابة.

ومما يؤكد هذا الملحظ التاريخي وجود قبر صحابي في شرق تريم ضمن تخوم (دمُّون)، وتحديدًا في منطقة "قرية اللسك"، استشهد في حروب الرِدَّة التي وقعت في شرق تريم، وهذا الصحابي هو عبّاد بن بشر الأنصاري رضي الله عنه، والذي يوجد قبرُه على تلَّةٍ مرتفعةٍ في سفح الجبل بمنطقة "قرية اللسك" المعروفة اليوم بشرق تريم.

وقد سكن دمُّون طريف بن مجالد الهيجمي، يكنّى بأبي نميمة، اختلف العلماء في صحبته للنبي محمد ﷺ، وكان مِمَّن حضر قتال المرتدِّين باليمن، ودخل حضرموت مع المهاجر ابن أبي أمية، فسكن دمُّون/ تريم، ثم خرج منها وتحوّل إلى البصرة.[21]

وهكذا انتصر جيش الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قتال المرتدين في شرق تريم ونواحيها – دمُّون وتخومها الشرقية – في المعركة الفاصلة المعروفة بمعركة (النجير)، وعادت "دمُّون" مرة أخرى تحت إمرة والي الخليفة أبي بكر الصدّيق – زياد بن لبيد الأنصاري.

ثم انتقلت دمُّون من عصر الخلافة الإسلامية الراشدة إلى عصر الدولة الأموية، وأصبحت دمُّون ضمن سلطة حكم خلافة دولة بني أميّه، حيث يوجد بها دار الإمامة للأمويين وموقع مقر الوالي الأموي على حضرموت.

وقد وضع بنو أميّة واليًا على حضرموت، هو إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي – وكان مقرُّه مدينة دمُّون – فاعتقله أنصار طالب الحق ردحًا من الزمن ثم أخْلَوا سبيله.[22]

إذ في عام (129هـ) أعلن عبدالله بن يحيى الكندي

(طالب الحق) ثورته الأباضية ضد الأمويين، وقام بالإستيلاء على دار الإمامة، وهي مقر الوالي الأموي على حضرموت، التي تقع في الأرجح في (دمُّون / تريم)، وليست في (دمُّون / الهجرين)، كما ذهب إلى ذلك المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري.[23]

وبعد انتصار ابن عطية قائد جيش الأمويين وقتل عبدالله بن يحيى (طالب الحق) وانتصاره على الأباضيين في حضرموت، واحتلاله شبام عام (130هـ)، أراد أن يرسل جيشه إلى سيئون ودمُّون، لكن الخليفة الأموي مروان بن محمد بعث إليه كتابًا يأمره بالتعجُّل إلى مكة المكرمة ليحج بالناس.[24]

ثم انتقلت دمُّون من عصر خلافة الدولة الأموية، إلى عصر خلافة الدولة العباسية، وأصبحت دمُّون واقعة تحت سلطة حكم والي دولة بني العباس في حضرموت.

وكان والي دولة بني العباس باليمن وحضرموت هو القائد المعروف (مَعْنُ بن زائدة) الشيباني من بكر بن وائل، قائد عربي شهير، كان من وُلاة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، أدرك العصرَيْنِ الأموي والعباسي، وقد ولي اليمن وحضرموت، وأقام بصنعاء تسع سنين، ولّى خلالها بعض أقاربه على مخاليف اليمن.

وقد أوكل (معن بن زائدة) لأهل حضرموت أخاه، كان قد سكن مدينة تريم، كان رجلًا فاسقًا فاجرًا تأذّى الناس منه كثيرًا في حضرموت، فما كان من الحضارم إلا أن قتلوه، فانتقم له أخوه "معن بن زائدة" وقام بسد مياه العيون الجارية في تريم وإغلاقها ومنها عيون (دمُّون)، ثم قُتل معن بن زائدة غِيلَةً عام (151هـ).[25]

وهذا الملحظ التاريخي ذكره أيضًا ابن عبيدالله السقاف في كتابه إدام القوت، حيث يقول ابن عبيدالله في أثناء معرض حديثه عن "دمُّون": (وكان في دمُّون عيون جارية تسقي كثيرًا من مزارع النخيل والبساتين، فشملها ما كان من تعدّي "معن بن زائدة" بسكرها).[26]

كما ذكر هذا الملحظ التاريخي أيضًا المؤرخ محمد بن أبي بكر الشلّي باعلوي في كتابه المشرع الروي، حيث يقول: (وادي دمُّون الميمون، الذي حلّه الصالحون، والأولياء العارفون، وهو أيضًا متّسع البساتين والأراضي يسقي سيله نخيلًا شاسعة، وأرضًا واسعة، ومنها شِعب الغَبْرَهْ، وهذه كانت كذلك ذات عيون جارية وإنمّا سدّها مَعِنْ ابن زائدة).[27]

وفي أواخر العهد العباسي، وبعد انكماش دولة كندة وقتل داعيتها (طالب الحق)، هبّ جميع السُكَّان يصلحون ويعمرون وخضعوا لولاة أمورهم كُلَّ الخُضوع، وانتشر الرَّخاء، ورخصت الأسعار، ونشطتْ أسواق العروض وهينن وشبام وتريم ودمُّون، وزادتْ حركتُها، وعادتْ إلى حياتها الأولى.[28]

ثُمَّ ضَعُفَتِ الدولة العباسية؛ إذ كانت هذه الفترة مفصليَّة في التاريخ الإسلامي، ففيها انتهت الخلافة العباسية في بغداد سنة (656هـ)، وسقط قرار سلطة الحكم المركزي لدولة الخلافة الإسلامية، وتجزأ العالم العربي والإسلامي، وتقسّم إلى دويلات وكيانات وسلطنات وطوائف تحكمُ نفسَها بنفسها في ظل غياب سلطة مركزية قوية للحكم.

وكون دمُّون جزءًا من إمارات الحكم الإسلامي، فبعد سقوط دولة الخلافة العباسية، تأثرت مدينة "دمُّون" بهذه الأحداث والتحوُّلات، وألقتْ بظلالها عليها، لتجعلها تنتقل لاحقًا وتعاصر مرحلة جديدة تحت حكم سلطنات الطوائف القبلية، التي احتدم الصراع والنزاع فيما بينها، بغرض السيطرة عليها وإخضاعها واستغلال موقعها الاستراتيجي، واستثمار ثرواتها الطبيعية.

" دمُّون " في عصر الطوائف القبلية

بعد ضعف السلطة المركزية للدولة الإسلامية، دخلت "دمُّون" مرحلةً جديدةً من عصر الحكم المحلي القائم على التحالفات القبلية والصراعات الداخلية، فانتقلتْ

"دمُّون" لتعيش مرحلة جديدة، ضمن إطار عصر حكم سلطنات الطوائف والعشائر والكيانات القبلية، الذي امتدّ تقريبًا من القرن الخامس الهجري حتَّى قيام الدولة القعيطية في القرن الثالث عشر الهجري، وهي أطول مرحلة زمنية عاشتْها "دمُّون"، فقد شهدت "دمُّون" في هذه المرحلة تحوُّلاتٍ سياسيَّةً واجتماعيَّةً مهمَّة، تميَّزت بالفوضى أحيانًا، وبالإستقرار المحلي أحيانًا أخرى، حيث احتدم فيها الصراع والنزاع بين هذه الطوائف القبلية، عانتْ منها "دمُّون" أرضًا وإنسانًا، إذ كانت "دمُّون" هدفًا ومطمعًا لجميع هذه الطوائف القبلية في محاولة إخضاعها وفرض السيطرة عليها.

إن من أبرز ملامح هذه المرحلة التي شهدتها وعاصرتها "دمُّون" في إطار حكم الطوائف القبلية لها، هو التحول من الدولة المركزية إلى الحكم المحلي، إذ إنه بعد ضعف الدولة العباسية، وغياب السلطة المركزية وتأثيرها في الأطراف، انقسمت حضرموت على مناطق نفوذ تتقاسمها الطوائف والعشائر القبلية، حيث ظهرت كيانات محلية مثل السلطنة الراشدية، وسلطنة آل يماني، وآل كثير، وعشائر يافع، وآل سِلمه بني تميم، وكانت دمُّون هدفًا ومطمعًا لهذه الكيانات، بسبب التنافس على النفوذ والموقع والماء والأرض الذي تتميز به "دمُّون".

وبالرغم من الاضطرابات والصراعات في هذه المرحلة، شهد بعض الفترات الزمنية هدوءًا نسبيًا، سمح باستمرار الحياة الزراعية والتجارية والدينية والعلمية، فتميزت "دمُّون" في مرحلة عصر الطوائف القبلية بمرونة تكيُّفها مع المتغيرات، فاستمرت الحياة الدينية والعلمية، المتمثلة بقيام المساجد والمدارس الأهلية في أداء دورها، مما حافظ على مكانة دمُّون كبيئة علمية وروحية خاصة لارتباطها بمدينة تريم المجاورة.

كذلك من أبرز ملامح هذا الدور وهذه المرحلة التي عاشتها "دمُّون" تحت حكم الطوائف القبلية، هو الاستقلال الإداري والعرفي المحلي، إذ إنه بعد التحول من سلطة الدولة المركزية للحكم الإسلامي السابق، اعتمدت "دمُّون" على نظام العُرف القبلي المحلي، وبرز دور الوجهاء والمقادمة والعُقلاء المحليين في إدارة شؤون الناس، خاصة في ظل غياب قرار السلطة المركزية، وأصبحت "دمُّون" تُدَارُ ضمن شبكةٍ من التحالفات والعلاقات العشائرية.

من آثار مرحلة عصر الطوائف القبلية الشواهد المادية والمعنوية من المواقع الأثرية كالحصون القديمة والمقابر الجماعية التي بقيت صامدة وشاهدة على وجود هذه الكيانات التي عاصرتْها وعاشتْها "دمُّون"، كذلك غيرها من الشواهد المادية كالمساجد والمصليات والخلوات القديمة والآبار الزراعية القديمة؛ إذ يقصدها بعض سكّان المدينة (تريم) كالعلماء والصلحاء بغرض الخلوة والتفرغ للعبادة، وكذا للنزهة والإستجمام.

وقد أسهمت هذه المرحلة من عصر الطوائف القبلية في تمهيد الطريق لظهور الدولة القعيطية لاحقًا، والتي أعادت شيئًا من الاستقرار المركزي بعد قرون من التشتُّت، بعد تنامي الرغبة المجتمعية والشعبية في الاستقرار المركزي؛ إذ برز هذا الإستقرار في المناطق الشرقية بوادي حضرموت، وحاضرتها "دمّون"، حيث أصبحت "دمُّون" لاحقًا مركزًا إداريًا وسياسيًا وثقافيًا للدولة القعيطية لجميع تخوم المناطق الشرقية بوادي حضرموت وجهاتها ونواحيها.

تمثّلت أولى كيانات مرحلة عصر الطوائف القبلية وسلطناتها التي شهدتها وعاصرتها دمُّون، هي عصر السلطنة الراشدية، ومنذ تولي السلطنة الراشدية قحطان بن العوم الحميري عام (400هـ)، وكان مركز سلطته تريم، وخلفه ابنه أحمد قحطان المولود بتريم سنة (430هـ)، وقد أخرج منها إلى دمُّون سنة (467هـ)، واستمرت سلطنته وبقي بدمُّون، وتوفي بها سنة

(468هـ)، وحين دب الخلاف بين سلاطين آل راشد من جديد أخذ شجعنةُ دمُّون عام (517هـ).[29]

وكانت أفضل مرحلة عدلٍ وأمنٍ ورخاءٍ واستقرارٍ شهدتْها مدينة تريم وضواحيها في حكم سلطنة آل راشد، هي مرحلة حكم السلطان عبدالله بن راشد بن قحطان الحميري؛ إذ كان فقيهًا أديبًا عالمًا تقيًا، تولَّى السلطنة وكان عصرُه من أحسن العصور وخيرها وأخصبها، وصحب جماعة من أهل العلم والتقى والصلاح، وعنه تُؤثَر المقولة الشهيرة: (في بلادي لا يوجد ثلاثة: لا فاسق، ولا سارق، ولا محتاج)، وقد ترك الولاية في آخر عمره فاعتزل عنها سنة: (611هـ)، وعكف على الطاعات، فقيل له في ذلك، فقال: (ما وجدنا آل حضرموت يوالوننا على الحق، وسافر ليصلح بين قبيلتين، فقتل في الطريق ظُلمًا سنة: (615هـ).[30]

جاءت بعد مرحلة سلطنة آل راشد، مرحلة عصر سلطنة حكم آل يماني؛ إذ قامت سلطنة آل يماني أو السلطنة اليمانية من عام: (620هـ)، إلى عام: (920هـ) تقريبًا، وأول سلطانهم هو مسعود بن يماني بن لبيد، ومقر دولته تريم.[31]

ومن الشواهد المادية الحية الظاهرة للعيان في "دمُّون" والتي هي من آثار مرحلة عصر سلطة حكم آل يماني، الحصن المعروف بحصن (آل سِلمه) بني تميم، والذي بُني في عهد السلطان أحمد بن يماني بن عمر سنة: (747 – 757هـ)، ونُسب لاحقًا إلى سلطة (آل سِلمه بني تميم)، ويقع الحصن في وسط دمُّون في الجبل القِبلي المحاذي للديار من الجهة الغربية.

وفي سنة (636هـ) تولى ابن شماخ عامر بن فضالة النهدي البلاد، فطرد آل إقبال من شبام وتريم وسيون، ولما احتل النهدي البلاد أجلى عبيد ابن إقبال، وآل أبي قحطان، سوى أحمد بن عبدالله بن راشد، فأنه بقي في دمُّون باحنان، وتسلم البلاد فهد بن عبدالله بن راشد ومعه الغز من ابن شماخ بشراء، وكذلك شبام وصروم والمسفلة في أيدي بني حرام ودمُّون.[32]

ثم بعد ذلك قَدِم إلى حضرموت سالم با إدريس الحبوظي، واشترى شبام عام (673هـ)، واستعمل أخاه موسى عليها، ثم هاجم واحتل مدينتي سيئون ودمُّون، وهدّد تريم وسلطانها الأمين بن مسعود بن يماني في ذلك الحين، وأقام تحتها محاصرًا ثلاثة أشهر، فأقبل ابن شماخ النهدي في عسكر لنجدة ابن يماني فخاف منهم الحبوظي وانتقل إلى دمُّون ثم إلى شبام.[33]

في شهر شوال عام (773هـ) اجتمع آل عمر بن مسعود وولد محمد بن أحمد بن يماني وحالفوا الصبرات وعَدَوا في تريم بعد صلاة الجمعة، وقتلوا أبناء جسار عبدالله وعمر في جامع تريم، ومسكوا راصع بن دويس وحصروه ولازموه إلى أن تخلَّى عن تريم وعن جميع ما في يده من الحصون، فتولى ولد محمد بن أحمد، وانهزم راصع إلى الغرفة وأقام بها مدة، ثم انتقل إلى بور، وحالف آل كثير وآل جميل، ثم عدا راصع في دمُّون والعجز فأخذهما قهرًا وأجلى أهل تريم فلم يبقَ فيها إلا من لا يؤبه له، ثم في عام (777هـ) رابط راصع بن دويس في دمُّون، وجمع عسكر، وقاتل المشرقي بتريم، وفي عام (822هـ) عدا ولد محمد بن راصع على عمه في تريم، وضروا حضرموت جميعها ثم صالحه وترك لعمه دمُّون.[34]

ثم انتقلت دمُّون بعد ذلك إلى مرحلة حكم عصر سلطة الدولة الكثيرية الأولى، إذ في عام (837هـ) نظفت "دمُّون" للكثيري، وفيها آثرت حامية دمُّون الكثيري على دويس بن راصع فاحتلَّها، ولم يبلع ريقه الكثيري حتى عادت لابن راصع.[35]

وهناك شواهد مادية ظاهرة للعيان وهي أكوات (حصون) قديمة فوق شِعب "دمُّون" كانت من آثار مرحلة عصر الدولة الكثيرية الأولى، انتقلت لاحقًا لتكون تحت حكم سلطة (آل سِلمه بني تميم) في

مرحلة حكمهم لدمُّون عام (1273هـ).

وفي عام (844هـ) عدا ولدا يماني بن محمد بن راصع، وهما راصع وعبدالله، على عم أبيهم دويس، بمساعدة بعض عبيده فقعدوا في المشرفي (الحصن / مقر الحكم) وهو حالٌ فيه، وكان لدويس ولدان أحدهما سلطان والآخر راصع، فهرب سلطان إلى دمُّون بلد أبيه وامتنع فيها.

وفي سنة (845هـ) اصطلح ولدا يماني وولد دويس وعدل ولد يماني تريم، وعدل ولدا دويس دمُّون، وفي سنة (818هـ) توفي السلطان الأجل الملقب الأسد أحمد بن سلطان بن دويس بن راصع بن يماني، وهو يومئذ والي تريم والعجز ودمُّون، وفي سنة (890هـ) أخذ آل محمد دمُّون وأخربوها، وفي عام (893هـ) بُنيت دمُّون– بعد أن أخربها آل كثير– بناها محمد بن أحمد الصبرات.[36]

وفي سنة (895هـ) وتحت قيادة السلطان محمد بن عبدالله أخو بدر بو طويرق، وقعت معركة "بريح" الشهيرة بكثرة قتلاها، "وبريح" هي موضع بدمُّون شرقي تريم، كانت قرية ثم خربت، وكانت المعركة بين السلطان محمد بن عبدالله بن جعفر، وبين محمد أحمد والي تريم، وقد قتل في هذه المعركة أكثر من أربعين رجلًا من الطرفين.[37]

ومن الشواهد المادية الموجودة بدمُّون والظاهرة للعيان (مقبرة بريح)، وهي مقبرة قديمة، دُفن بها عدد من قتلى الحرب الدائرة في تلك الفترة وكانت عليها قبة كبيرة، ثم هُدمت المقبرة في العهد الشمولي عام (1972م)، وبُني على أنقاض المقبرة مدرسة دمُّون للتعليم الأساسي.

وفي عام (910هـ) صالَ آلُ جعفر على دمُّون وأحرقوا تحتها نخيلًا.. وفي عام (914هـ) غارَ آل أحمد في وادي دمُّون وقتلوا بقرًا.[38]، وفي عام (949هـ) اصطلح بدر بو طويرق مع آل أحمد والصبرات الكنديين، فعدل له آل أحمد بلد اللسك (القرية)، وعدل له الصبرات بلد الواسطة، وعدل ابو طويرق لهم حيد قاسم ودمُّون.[39]

من الدعاة الذي برزوا في هذا الدور السيد أحمد بن محمد بن شهاب، المتوفى سنة (1113هـ) بتريم، الذي حلّ النويدرة، وكان كثيرَ التردُّدِ إلى وادي دمُّون التي تسكنها قبائل من آل عمران، وهم أول من سكن وادي دمُّون الأعلى، ويرِد إلى هذا الوادي كثير من البدو الرحل الذي يحملون بضائعهم من سعف وصخر وأغنام وغيرها إلى تريم، غير أنهم يرتاحون قليلًا في وادي دمُّون حيث آل عمران، فيأتي السيد أحمد لتذكيرهم وتعليمهم تعاليم الإسلام، ثم إنه تزوج عند قبائل آل عمران، وأنجب ابنَه محمد صاحب المسجد الآن بدمُّون – مسجد مشهور.[40]

تتوالى الأحداث والصراعات في دمُّون بين الطوائف والسلطنات والكيانات والعشائر القبلية، لتأتي مرحلة حكم سلطة قبيلة (آل سِلمه التميمية)؛ إذ تولَّتِ الحُكمَ في دمُّون في القرن الثاني عشر الهجري، واستقلوا بالسلطة على دمُّون، وآل سِلمه بطن من بطون بني تميم.

ولعلّ ما حدث بين طوائف آل تميم بدمُّون من نزاعات وخصومات شتَّى – كما يحدث بين كل الطوائف حين تختلف المصالح – فكانت المصالحة أو الصلح – كما ذكرت بعض المصادر التي قام بها السيد الثري علي بن شيخ بن شهاب؛ إذ جمعهم على مقدّم واحد لآل سِلمه، يرجعون إليه في الخير والشر بمواثيق حرّرت فيما بينهم.[41]

وذكر ابن عبيداللاه السقاف تلك المرحلة من عصر الطوائف في كتابه "ادام القوت"، حيث يقول ابن عبيداللاه عن دمُّون: (بأنها مساكن آل سِلمه، وهم قبيلة جُلُّها من آل تميم، كانت لهم خشونة في القبولة، ولهم ولدمُّون ذكرٌ في كثير في الحروب الواقعة بين

آل كثير ويافع في "المسنّدة" وغيرها، وإنما قلنا جُلُّها من آل تميم لأنَّ المسموع أنهم نزّاع من قبائل شتى، رغّبهم العلامة الجليل السيّد علي بن شيخ بن شهاب في سكنى دمُون لحمايتها، وكان أكثر دمُون مُلكًا للسيد علي، بشهادة الوثائق الكثيرة الشاهدة بانتقال الأملاك عنه وعن ورثته).[42]

ومن الشواهد المادية الظاهرة للعيان والتي هي من آثار حكم مرحلة عصر سلطة (آل سِلمه بني تميم)، الحصن المعروف الذي ذكرناه سابقًا المعروف بحصن (آل سِلمه)، وهو من بقايا آثار مرحلة حكم سلطنة آل يماني بتريم، ونُسب هذا الحصن لاحقًا إلى سلطة آل سلمه بني تميم، في أثناء فترة سلطتهم في دمُون، كذلك الحصن الآخر المعروف بـ (كوت الدويل)، الذي بناه (آل سِلمه) عام (1940م) على يد المعلّم سعيد عبيد باشعيوث الملقّب (نينو)، والذي يقع فوق قمة هضبة مرتفعة أعلى سفح الجبل الغربي (القبلي) لشِعب دمُون.

وفي سنة (1114هـ) انبعث الشنافر وقائدهم السلطان محمد بن عمر بن بدر، وأغاروا على دمُون، وكان بها آل سلمه من بني تميم، فاقتتل الفريقان، وذهب الشنافر فحرقوا عددًا من الدُّور والغُرَف هناك وانصرفوا عنها، ثم عادوا إليها بعد أيام، ولكن يافع وآل تميم كانوا قد استعدوا لها فباغتوهم وهزموهم شرَّ هزيمة حتَّى أجلَوْهُم إلى تاربة.[43]

وفي منتصف القرن الثاني عشر الهجري اختفت من الوجود السلطنة الكثيرية الأولى، وأصبحت حضرموت في يد عشائر من (يافع)، الذين كوَّنوا لهم سلطات متعددة في كثير من مدن الساحل والداخل وقراهما، خاصة في تريم وما يجاورها، والمعروف في هذه الفترة أن تريم مع يافع، والدكين شرقي دمُون – أيضًا مع يافع – ودمُون مع قبيلة آل سِلمه التميميين، وقصد آل يافع الاستيلاء على دمُون، وقامت عشائر من يافع بحصار دمُون عام (1254هـ)، وامتد ذلك الحصار أكثر من تسعة أشهر، ثم دارت بينهم وبين آل سِلمه معركة كبيرة، انتصرت فيها قبيلة آل سِلمه التميمية، وخرجت يافع مهزومة ولم تفلح بالإستيلاء على دمُون.[44]

أيضًا من الشواهد المادية الظاهرة للعيان من آثار حكم عشائر (يافع) على تريم ودمُون، الحصن المعروف بـ حصن (آل متّاش) ويُنسب هذا الحصن إلى آل ابن متَّاش، ومرجعهم فخيذة البعسي إحدى قبائل يافع، وموقع الحصن في شِعب متّاش على بوّابة دمُون ومدخل سدَّتها من الجهة الجنوبية الغربية، وبه سُورٌ عظيم يحد منطقة دمُون ويفصلها عن مدينة تريم سياسيًا إبَّان حكم السلطنة القعيطية التي حكمت "دمُون"، والسلطنة الكثيرية التي حكمت "تريم" سابقًا.

كذلك من آثار حكم سلطنات (يافع) على دمُون، الحصن المعروف بـ حصن (آل غرامة)، ويُنسب هذا الحصن إلى إمارة ابن غرامة اليافعية، وهي حامية من حاميات سلطنات يافع، التي حكمتْ مدينة تريم سابقًا، وقد بنى هذا الحصن الأميرُ سالم غرامة اليافعي، في الموقع المعروف بالدّكِين على قمة هضبة مرتفعة أعلى سفح الجبل في الجهة الشرقية لدمُون.

وعندما قامت الدولة الكثيرية الثانية – دولة آل عبدالله – وأزاحت سلطنات يافع وعشائرها عن تريم، ومن ثم السيطرة على تريم، حاول السطان الكثيري عام (1268هـ) السيطرة والاستيلاء على دمُون أيضًا لمجاورتها لتريم، محاولًا إخضاع حُكّامها قبيلة آل سِلمة التميميين، لكنَّه لم يفلح في ذلك، مما اضطره أن يحصّن المدينة (تريم) بسُورٍ عام (1335هـ)، ويفصلها عن "دمُون" سياسيًا كما يرى البعض، أمّا المباني العمرانية والبيوت فهي متّصلة ببعضها ولا تزال أطلال هذا السور وبقاياه إلى اليوم.[45]

وفي نهاية القرن الثالث عشر الهجري، حصّن آل

سِلمة التميميين "دمُّون" بسور يمتدُّ من الناحية الجنوبية، ومن نهاية ذبر آبار الجبالي الجنوبية، ببوابة إلى الشرق في موقع الطريق المؤدية الآن إلى بيت السيد عمر المشهور، ثم يمتدُّ – ويفصله منفذ إلى جهة الشرق شمالي بيت المقدّم سالم بن عوض بن سِلمة – وبيت ورثة آل بكورة التميميين، ثم سُور جرب مسجد جامع مشهور، من الناحية الشمالية إلى بوابة (سدة) سميت باسم حارسها (سدة عاطف) ببوابة إلى الشرق إلى بيوت آل شهاب، وكانت تحتوي على بيت أشبه بالحصن في الجانب الجنوبي من السدة سكنًا للحارس، ويتصل السُّور من الشمال بسور جرب مسجد شهاب الدين، وقد تم مسح الدور والبيت (الحصن) في العقود الثلاثة الماضية.[46]

وهكذا استقرت دمُّون فترة من الزمن تحت حكم سلطة "آل سلمه التميميين"، لتدخل دمُّون بعدَها عصرًا جديدًا، هو عصر سلطة الدولة القعيطية في حضرموت عامة ودمُّون خاصة.

" دمُّون " في العصر الحديث – مركز الدولة القعيطية

أسهمت مرحلة عصر الطوائف القبلية وصراعاتها في تمهيد الطريق لظهور الدولة القعيطية الناشئة بحضرموت، والتي أعادت شيئًا من الاستقرار المركزي بعد قرون من الشتات، وبرزت الحاجة المجتمعيَّة والشعبيَّة إلى الاستقرار والحكم المركزي والسلطة الواحدة، فظهرت بوادر هذا الاستقرار في المناطق الشرقية بوادي حضرموت، وحاضرتها "دمُّون"، حيث أدَّتْ "دمُّون" دورًا محوريًا في قيام الدولة القعيطية الناشئة في المناطق الشرقية، لتكون "دمُّون" مركزًا إداريًا وسياسيًا وثقافيًا للدولة القعيطية لجميع تخوم المناطق الشرقية وجهاتها بوادي حضرموت، ومثّلت "دمُّون" بذلك حلقة وصل بين مناطق حضرموت الشرقية والغربية التابعة للدولة القعيطية.

إن أبرز الملامح التي تميزت بها "دمُّون" كمركز فاعل في الدولة القعيطية الناشئة بوادي حضرموت، هو الاستقرار المركزي في الحكم بعد معاناة طويلة من الصراعات والنزاعات في عصر حكم الطوائف القبلية، هذا الاستقرار المركزي انعكس إيجابيًا على البلدة "دمُّون" وعلى جميع تخوم المناطق الشرقية ونواحيها وجهاتها بوادي حضرموت، فعاشت "دمُّون" وجميع هذه المناطق الشرقية استقرارًا أمنيًا وإداريًا وسياسيًا أسهم في انتعاش الحياة العامة؛ إذ تميزت "دمُّون" بكونها مركزًا إداريًا وسياسيًا وثقافيًا مهمًا للدولة القعيطية، تُدار منها الشؤون الإدارية والسياسية والقضائية والأمنية والعسكرية لجميع المناطق الشرقية بوادي حضرموت.

ظهرت بالمركز "دمُّون" المؤسسات التي تُشكّل التنظيم الإداري والسياسي والقضائي للمنطقة الشرقية بوادي حضرموت، كظهور مسمّى وظيفة (القائم) عن السلطان القعيطي، بصفته حاكم المنطقة الشرقية بوادي حضرموت، والذي يوازي اليوم محافظ المحافظة، وظهرت وظيفة رئيس المجلس البلدي بدمُّون لتنظيم أمور حياة الناس العامة بالمركز "دمُّون"، وهو يوازي اليوم منصب مدير عام المديرية، كما ظهرت بالمركز "دمُّون" المحكمة الشرعية لتنظيم أمور القضاء، كذلك وُجِدَ مركز الشرطة لحفظ أمن حياة المواطنين بالمركز والمناطق الشرقية.

ومن إنجازات مرحلة هذا الدور أيضًا تنفيذ مشاريع البنية التحتية والخدمات في المركز "دمُّون" ونواحيها، حيث نُفّذتْ بعض المشاريع المرتبطة بتنظيم الموارد المائية، كالسدود، والطرقات، ودعم الأنشطة الزراعية، وتوصيل خدمات الكهرباء والماء في بداياتها الأولى.

كذلك من أبرز ملامح هذه المرحلة ازدهار معالم الحياة العلمية والدينية بدمُّون، إذ ازدهرت المدارس والمعلامات الأهلية التقليدية، ومنها مدرسة الإقبال الأهلية بدمُّون لتتطور لاحقًا إلى مدرسةٍ ابتدائية

حكومية تابعة للدولة القعيطية، وهكذا بدأ التعليم النظامي الحكومي، كما برز عدد من المعلمين والعلماء والفقهاء المحليين في البلدة دمُّون، إضافة إلى تجديد بعض المساجد والمصليات، كما بُنيت مساجد ومصليات جديدة.

وقد برز أيضًا في هذا الدور علماء ومصلحون امتدّ خيرهم وعطاؤهم إلى المركز "دمُّون" وإلى المناطق الشرقية التابعة له، وإلى المدينة "تريم"، وحتى إلى المهجر، منهم السيد أبوبكر بن علي بن شهاب، مؤسس مدرسة الإقبال الأهلية بدمُّون، والشيخ عبدالله بن سعيد باغوث، والشيخ عمر بن أحمد دحيدح بن عمران التميمي، والمقدّم سالم بن عوض بن سِلمة التميمي، والسيد محمد بن عبدالقادر بن شهاب، والسيد أحمد بن ضياء بن شهاب.

يمكننا القول إنَّ أهمَّ ميزة اتّسمت بها مرحلة "دمُّون" كمركز إداري وسياسي للدولة القعيطية، هي ميزة الاستقرار بشكل عام، واستتباب الأمن، وسلطة النظام والقانون، وهيبة الدولة، وخنوع كل الطبقات الاجتماعية وقضاياها للسلطة القائمة، ممَّا تمخّض عن هذا الاستقرار في الحياة العامة من تأسيس المدارس الحكومية، وتأسس النادي الثقافي والرياضي، وإقامة الأنشطة الثقافية كنشاط المسرح الثقافي، إضافة إلى وجود بث إعلامي من أجهزة الراديو، والصحف والمجلات، إلى غير ذلك مما كان له أثر كبير في توعية عامة المجتمع لمجريات الأحداث في العالم، تشكّل من خلال هذه المرحلة، وعي وطني وسياسي لدى غالب الشرائح الطبقية في المركز "دمُّون"، والمناطق الشرقية التابعة له بوادي حضرموت.

كانت البدايات الأولى لبروز "دمُّون" وظهورها كمركز سياسي وإداري للدولة القعطية الناشئة بحضرموت، هو تهيئة الظروف الشعبية والمجتمعية لقيام الدولة القعيطية بحضرموت عام (1858م)، وتوسّعها لتشمل غالب مناطق حضرموت عدا مناطق (تريم وسيئون والمنطقة الكثيرية الفاصلة بينهما)، حيث أعلنت القبائل القاطنة شرقي وادي حضرموت ومنها (دمُّون) ولاءها للسلطان القعيطي والدولة القعيطية الناشئة، وهكذا أصبحت دمُّون تابعة للسلطنة القعيطية بموجب اتفاق الصلح، لعام (1339هـ/ 1918م)، وهي المسمّاة اتفاقية حلف بين السلطنة القعيطية وقبائل آل تميم والمناهيل بني ظنَّة.[47]

تم عقد اتفاقيات بين السلطان القعيطي ورؤساء العشائر ومقادمتهم، فالعشائر التي كانت تنضوي تحت الاتفاقيات تعهدت للسلطان بتلبية النداء وقت الحرب، وفي هذه الاتفاقيات يمثلون تبعة وسمعة للسلطان القعيطي، وأن أرضهم تعد قانونيًا أراضي السلاطين، وكان ذلك الوضع قبل إبرام معاهدة الاستشارة البريطانية / القعيطية في عام (1937م).[48]

تمّ توقيع هذه الإتفاقية بين قبائل (آل تميم والمناهيل بني ظنّة) من جهة، والسلطنة القعيطية من جهة أخرى، بحضور مقادمة هذه القبائل وحضور القائم عن السلطنة القعيطية ووزيرها آنذاك السيد الزعيم حسين بن حامد المحضار رحمه الله، وتضمّنت بنود الاتفاقية تنازلًا واعترافًا من قبائل (آل تميم والمناهيل بني ظنّة) بالدولة القعيطية، وبهذا انتقلت السلطة رسميًا من قبائل آل تميم والمناهيل بني ظنّة إلى الدولة القعيطية.[49]

هذه الاتفاقية التي وقّعها مقادمة قبائل بني ظنة مع الوزير السيد حسين بن حامد المحضار ممثل السلطنة القعيطية، من نماذج الأحلاف التي ترتقي إلى مستوى التبعية الكاملة للسلطنة (تبعة وسمعة)، إذ تعهدت فيها قبائل بني ظنة بأنهم عيال الدولة، وأن أرضهم كلها جبالها ووديانها وسهلها ومعايينها ومعادنها أرض السلاطين.[50]

وبحلول عام (1339هـ / 1918م) وقّعت اتفاقية بين

السلطنة القعيطية من جهة وقبائل آل تميم والمناهيل بني ظنّة من جهة أخرى، قضتْ هذه الاتفاقية بموجبها اعتراف قبائل آل تميم والمناهيل بني ظنّة بالدولة القعيطية، وبهذا انتقلت السلطة من قبائل آل تميم والمناهيل بني ظنة إلى الدولة القعيطية، وأصبحت دمُّون تابعة للسلطنة القعيطية بموجب اتفاقية الصلح العام لعام (1939هـ / 1918م)، وهي المسمّاة اتفاقية حلف بين السلطنة القعيطية وقبائل آل تميم والمناهيل بني ظنة، ومن ضمن بنود هذه الاتفاقية:[51]

(هذا ما تعاهدوا وتواثقوا عليها المذكورين، معاهدة ومؤالفة لله تعالى وللرسول ﷺ مؤبدة وموثقة ومرتبطة بوجوههم ووجوه أولادهم أبدا ما تناسلوا إلى يوم القيامة، وما في وجه الميت في وجه الحي، وبذلك وعليه حصل الرضى والإختيار، والمعاهدة المذكورة في أرضهم المعلومة المشهورة بحدودها المعروفة، وأقروا واعترفوا بني ظنه تميمي ومنهالي بأنهم عيال الدولة القعيطية، وبأن الأرض المذكورة كلها وجبالها ووديانها وسهولها ومعاييضها ومعادنها أرض السلاطين غالب وعمر ابني السلطان عوض بن عمر القعيطي، وأنهم تبعة وسمعة لهما).

ومن الموقعين على الاتفاقية: (عبدالله بن عمر، على كافة آل بن نبهان. عبدالقادر بن عمر بن شيبان التميمي، على كافة آل شيبان. سالم بن عوض، على كافة آل عوض. أحمد بن صالح، على كافة آل عمران. المقدم علي بن أحمد بن عبدالله بن يماني، على كافة آل يماني. عبيد بن عمر بن علي، على كافة آل عبودة).

ولقد سبق هذا الاتفاق بين السلطنة القعيطية والسلطنة الكثيرية برعاية بريطانيا عام (1336هـ / 1917م)؛ إذ حصرت هذه الاتفاقية سلطنة الكثيري في تريم وسيئون وغيرها من القرى في وسط حضرموت، وكانت دمُّون من ضمن أراضي آل تميم التي أضحتْ فيما بعد للسلطنة القعيطية تابعة للواء شبام، ومركزًا فيما بعد للمناطق الشرقية بدلًا من عينات في عهد المستشار البريطاني إنجرامس عام (1943م).

وبعد أن خضعت "دمُّون" للدولة القعيطية الناشئة في عهد المستشار البريطاني (إنجرامس) عام (1943م)، أصبحت "دمُّون" مركزًا إداريًا وسياسيًا للمنطقة الشرقية التابعة للواء شبام، بعد نقل هذا المركز من عينات إلى دمُّون، وبهذا عُيّن بدمُّون "القائم" عن السلطان القعيطي ليكون حاكم المنطقة الشرقية بوادي حضرموت، وأُنشئت بدمُّون محكمةٌ شرعية ومركزٌ للشرطة لحفظ الأمن.[52]

وقد عُيّن أول حاكم للمركز "دمُّون" من قبل السلطنة القعيطية بمسمّى (قائم) بوظيفة حاكم المنطقة الشرقية بوادي حضرموت وهو الشيخ علي بن سالم باعشن، كما عُيّن القاضي الشرعي بمحكمة المركز "دمُّون" وهو السيد عبدالله بن أحمد الهدار سنة (1943م)، ثم تولى أيضًا وظيفة الحاكم (القائم) بالمركز "دمُّون" من أبناء دمُّون، لمنطقتي دمُّون وعينات وهو محمد بن أحمد بن نبهان. أيضًا فقد تولى رئيس المجلس البلدي بالمركز "دمُّون" السيد محمد بن عبدالقادر بن شهاب، ثم جاء بعده السيد أحمد بن ضياء بن شهاب.[53]

من أهم الزيارات التاريخية السياسية الخالدة في وجدان أهالي "دمُّون" والتي حَظيتْ بها البلدة والمركز "دمُّون" هي زيارة السلطان صالح بن غالب القعيطي مع ولي العهد الأمير عوض بن صالح القعيطي، ونزلا في بيت السيد حامد بن أبي بكر بن شهاب، كما زارها الأميران غالب وعمر ابنا السلطان عوض بن صالح القعيطي، ونزلا في بيت السيد حسين بن شهاب الدين، وزار دمُّون وزير السلطنة القعيطية السيد أحمد بن محمد العطاس في عام (1964م).[54]

وظلّت "دمُّون" على هذه الحال مركزًا إداريًا وسياسيًا

وثقافيًا تابعًا للدولة القعيطية لجميع تخوم المناطق الشرقية وجهاتها ونوحيها بوادي حضرموت حتى قيام الاستقلال عن بريطانيا عام (1967م)، ثم أصبحت "دمُّون" حيًّا من أحياء مدينة تريم في محافظة حضرموت في عصر مرحلة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في جنوب اليمن، وهكذا إلى مرحلة قيام الوحدة اليمنية بين جنوب اليمن وشماله بإعلان الجمهورية اليمنية في 22 مايو عام (1990م).

الخاتمة:

جاء هذا البحث بعنوان: (دمُّون – عبر العصور التاريخية – من قاعدة مملكة كندة في العصر القديم، إلى مركز الدولة القعيطية في العصر الحديث)، وهو محاولة لتتبّع مسار التطور التاريخي لمدينة دمُّون عبر العصور التاريخية، منذ أن كانت قاعدة لمملكة كندة الشهيرة قديمًا، مرورًا بالعصر الإسلامي، ثم عصر الطوائف والعشائر القبليَّة، وصولًا إلى المركز الإداري والسياسي للدولة القعيطية في العصر الحديث، حيث ظلّت "دمُّون" خلال تاريخها الطويل موقعًا استراتيجيًا مستهدفًا لجميع الدول والسلطنات والممالك والطوائف في محاولة إخضاعها وفرض السيطرة عليها لإستغلال موقعها الإستراتجيي واستثمار مواردها الطبيعية.

وتكمن أهمية البحث في قلة الدراسات والبحوث التاريخية المتخصصة ومحدوديتها عن مدينة دمُّون ككيان تاريخي متكامل مستقل، رغم ما تملكه من إرث غني، وشواهد مادية ومعنوية، تُسهم في فهمٍ أعمقَ لتاريخها والتحوُّلات السياسية التي مرّت بها.

جاءت الشواهد المادية والمعنوية لتؤكد أن منطقة دمُّون الواقعة اليوم في مدينة تريم، هذه هي التي عناها امرؤ القيس في أشعاره، وأنها قاعدة ملوك كندة في العصر القديم؛ إذ احتفظت "دمُّون" كونها قاعدة لمملكة كندة بعدد من الشواهد المادية والمعنوية التي تدل على قدمها وازدهارها الحضاري، وأنها كانت حاضرة ملوك كندة في الماضي، وتشمل تلك الشواهد المادية: (بقايا أسوار، وحصون، ومواقع دفن، ومراكز عبادة، وغدران، وقطع فخارية، وأدوات معدنية، ومواد معمارية)، وغيرها، وإن كان غالبها لم يُستكشف علميًا بشكل كامل حتى اليوم.

ثم دخلت "دمُّون" مرحلة انتقالية مهمة من كونها قاعدة ومقرًا للحكم والسلطة لمملكة كندة في العصر القديم، إلى اندماجها ضمن إطار الدولة الإسلامية، في عصر الخلافة الإسلامية، بدءًا بدخولها في الدين الإسلامي في مرحلة عصر النبوة، ثم انتقالها واندماجها ضمن سلطة حكم مرحلة عصر الخلافة الراشدة، وهكذا إلى مرحلة عصر الدولة الأموية، ثم إلى حكم الدولة العباسية؛ إذ إنَّ قوة سلطة حكم قرار المركز الإسلامي أوجد نوعًا من الاستقرار المجتمعي المحلي لدمُّون، حافظتْ فيها على هُوِيَّتِها المحليَّة وتكيَّفت بطبيعتها المرنة مع مجمل التحوُّلات السياسية الإسلامية، وساعدها هذا الاستقرار السياسي، وانعكس إيجابيًا على مجالات الحياة الاجتماعية والدينية والعلمية والاقتصادية المعيشية.

وبعد ضعف الدولة المركزية للدولة الإسلامية، شهدتْ "دمُّون" مرحلة جديدة من الحكم المحلي القائم على التحالفات القبلية والصراعات الداخلية، فانتقلت "دمُّون" لتعيش مرحلة جديدة، وعصرًا جديدًا ضمن إطار عصر حكم الطوائف والعشائر والكيانات القبلية، والذي امتدّ تقريبًا من القرن الخامس الهجري حتى قيام الدولة القعيطية في القرن الثالث عشر الهجري، وهي أطول مرحلة زمنية عاشتْها دمُّون، فقد شهدتْ فيها تحولات سياسية واجتماعية، تميَّزت بالفوضى أحيانًا، وبالاستقرار المحلي أحيانًا أخرى؛ إذ اعتمدت البلدة "دمُّون" على نظام العُرف القبلي المحلي، وبرز دور الوجهاء والعُقلاء المحليين في إدارة شؤون الناس،

خاصة في ظل غياب سلطة مركزية قوية، وأصبحت "دمُّون" تُدار ضمن شبكة من التحالفات والعلاقات العشائرية.

ثم أسهمت مرحلة عصر الطوائف القبلية وصراعاتها في تمهيد الطريق لظهور الدولة القعيطية الناشئة بحضرموت، والتي أعادت شيئًا من الاستقرار المركزي بعد قرون من الشتات، وبرزت الحاجة المجتمعية والشعبية إلى الاستقرار والحكم المركزي والسلطة الواحدة، فظهرت بوادر هذا الاستقرار في المناطق الشرقية بوادي حضرموت، وحاضرتها "دمّون" كمركز إداري وسياسي للدولة القعيطية، تميزت بميزة الاستقرار بشكل عام، واستتباب الأمن، وسلطة النظام والقانون، وهيبة الدولة، وخنوع كل الطبقات الاجتماعية وقضاياها للسلطة القائمة، وما تمخّض عن هذا الاستقرار في الحياة العامة من ظهور المؤسسات التي تُشكّل التنظيم الإداري والسياسي والقضائي للمنطقة الشرقية بوادي حضرموت، وتأسيس المدارس، وإقامة الأنشطة الثقافية.

وظلّت "دمُّون" على هذه الحال مركزًا إداريًا وسياسيًا وثقافيًا تابعًا للدولة القعيطية لجميع تخوم المناطق الشرقية وجهاتها ونواحيها بوادي حضرموت حتى قيام الاستقلال عن بريطانيا عام (1967م)، ثم أصبحت "دمُّون" حيًّا من أحياء مدينة تريم في محافظة حضرموت في عصر مرحلة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في جنوب اليمن، وهكذا إلى مرحلة قيام الوحدة اليمنية بين جنوب اليمن وشماله بإعلان الجمهورية اليمنية في 22 مايو عام (1990م).

بعد استعراض المراحل والأدوار التاريخية والملامح السياسية والحضارية التي مرّت بها "دمُّون" قديمًا وحديثًا، يتضح أن هذه البلدة لمْ تكنْ مجرَّدَ موقعٍ جغرافي عابر، بل كانت موقعًا استراتيجيًا وحضاريًا وثقافيًا وسياسيًا وإداريًا ودينيًا بارزًا في حضرموت واليمن والجزيرة العربية.

ومن هنا فإن الحفاظ على هذا الإرث التاريخي والثقافي والسياسي، وإبراز دور "دمُّون" في الأبحاث والدراسات المستقبلية، بات ضرورة علمية ووطنية مهمَّة؛ لضمان استمرارية الوعي بأهمية هذا الموقع الاستراتيجي في الذاكرة الحضارية الحضرمية واليمنية والعربية والإسلامية.

الهوامش:

(1) حسين بن أحمد الهمداني، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، صفة جزيرة العرب، صنعاء: مكتبة الإرشاد، 1992م، ص: 167

(2) عمر بن أحمد بن عبدالله المشهور: بُغية من تمنّى في توضيح بعض معالم تريم الغنّاء، تريم: مخطوط، 1415هـ، ص: 2

(3) عمر بن عبدالله بامطرف: دمُّون .. قراءة في ماضيها والحاضر، المكلا: مطبعة وحدين الحديثة للأوفست، توزيع مكتبة تريم الحديثة، الطبعة الأولى، 1440هـ – 2019م، ص: 37

(4) حسين بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص: 168

(5) عبدالقادر بن محمد الصبّان: تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت، ص: 15

(6) محمد بن عبدالقادر بافقيه: تاريخ اليمن القديم، سوريا: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1985م، ص: 145

(7) د. سرجيس فرانتسوزوف – تعريب: د. عبدالعزيز جعفر بن عقيل: تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، صنعاء: المعهد الفرنسي للآثاروالعلوم الاجتماعية، ط1، 2005م، ص: 245

(8) عمر بن عبدالله بامطرف: دمُّون، مرجع سابق، ص: 67

(9) صلاح بن عبدالقادر البكري: تاريخ حضرموت السياسي، الجزء الأول، ط1، القاهرة: المطبعة السلفية، 1354هـ، ص: 60

(10) أحمد بن صالح الرباكي: أبحاث ودرسات وفعاليات ملتقى تريم الثقافي، بمناسبة تريم عاصمة الثقافة الإسلامية لعام 2010م، ص: 164

(11) صلاح بن عبدالقادر البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج1، مرجع سابق، ص: 61

(12) صلاح بن عبدالقادر البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج1، مرجع سابق، ص: 59

(13) دبليو إتش إنجرامس – ترجمة: سعيد عبدالخير النوبان: حضرموت، القاهرة: دار عناوين بوكس، 2022م، ص: 25

(14) عبدالرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، بيروت: دار الكتب العلمية، 2021م، ص: 286

(15) عمر بن أحمد بن عبدالله المشهور: بُغية من تمنّى، مرجع سابق، ص: 3

(16) عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي، تحقيق: مجدي منصور الشورى، الروض الآنف، ج7، بيروت: دار الكتب العلمية، 2020م، ص: 263

(17) السلطان غالب بن عوض القعيطي: تأملات عن تاريخ حضرموت، السعودية: مكتبة كنوز المعرفة، 2020م، ص: 18

(18) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف: بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت، ج1، ص: 127

(19) روبرت سارجنت، ترجمة: سعيد محمد دحي، نثر وشعر من حضرموت، الرياض: ثقافة للنشر والتوزيع، 2014م، ص: 131

(20) عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله العيدروس: النور السافر في أخبار القرن العاشر، ط1، بيروت، لبنان، دار صادر، 2001م، ص: 122

(21) سالم أحمد بن جندان: نقش التابوت في من حلّ من الصحابة في حضرموت، ص: 72

(22) محمد بن عبدالقادر بامطرف: المختصر في تاريخ حضرموت العام، المكلا: دار حضرموت للدراسات والنشر، 2001م، ص: 56

(23) د. سرجيس: تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي، مرجع سابق، ص: 150

(24) صلاح بن عبدالقادر البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج1، مرجع سابق، ص: 71

(25) محمد بن أحمد بن عمر الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، الجزء الثاني، ط3، المدينة المنورة: دار المهاجر للنشر والتوزيع، 1994م، ص: 141 – 143

(26) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف: إدام القوت في معجم بلدان حضرموت، بيروت: دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى 1425هـ، 2005م، ص: 552

(27) محمد بن أبي بكر الشلّي باعلوي: المشرع الروي في مناقب السادة آل باعلوي، الجزء الأول، جده: دار الشروق، الطبعة الاولى، 1402هـ، ص: 151

(28) صلاح بن عبدالقادر البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج1، مرجع سابق، ص: 72

(29) أحمد بن عبدالله شنبل، تحقيق: عبدالله بن محمد الحبشي، تاريخ حضرموت، صنعاء: مكتبة صنعاء الأثرية، 1992م، ص: 47

(30) محمد ابن هاشم: حضرموت: تاريخ الدولة الكثيرية، ج1، تريم للدراسات والنشر، 2002م)، ص: 24

(31) محمد بن أحمد عمر الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج2، مرجع سابق، ص: 18

(32) محمد بن علي بن عوض باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف، ط1، جدة: دار المنهاج للنشر والتوزيع، 2008م، ص: 424 – 425

(33) أحمد بن عبدالله شنبل، تاريخ حضرموت، مرجع سابق، ص: 101

(34) أحمد بن عبدالله شنبل، تاريخ حضرموت، مرجع سابق، ص: 135– 136 – 139

(35) محمد بن علي عوض باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف، مرجع سابق، ص: 455

(36) أحمد بن عبدالله شنبل، تاريخ حضرموت، مرجع سابق، ص: 176 – 177

(37) محمد ابن هاشم: حضرموت: تاريخ الدولة الكثيرية، ج1، مرجع سابق، ص: 53

(38) أحمد بن عبدالله شنبل، تاريخ حضرموت، مرجع سابق، ص: 222 – 233

(39) محمد بن علي بن عوض باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف، مرجع سابق، ص: 489

(40) عمر بن أحمد بن عبدالله المشهور: بُغية من تمنّى، مرجع سابق، ص: 27

(41) عمر بن أحمد بن عبدالله المشهور: بُغية من تمنّى، مرجع سابق، ص: 23

(42) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف: إدام القوت، مرجع سابق، ص: 551

(43) محمد بن علي بن عوض باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف، مرجع سابق، ص: 510

(44) علي بن أحمد بن محمد بن شهاب: ديوان المعلم سعيد عبدالحق – الوقائع فيما جرى بين آل تميم وآل يافع – مخطوط، ص: 134

(45) عوض بن مبارك بن سليمان بامؤمن: الإيلاف في تاريخ بلاد الأحقاف، حضرموت، ط2، عدن: دار جامعة عدن للطباعة والنشر والتوزيع، 2013م، ص: 306

(46) عمر بن عبدالله بامطرف: دمُّون، مرجع سابق، ص: 38

(47) عوض بن مبارك بامؤمن: الإيلاف في تاريخ بلاد الأحقاف، مرجع سابق، ص: 306

(48) محمد بن عبدالقادر بامطرف: الإقطاعيون كانوا هنا، صنعاء: دار الهمداني للطباعة والنشر، 1985م، ص: 21

(49) عوض بن مبارك بامؤمن، الإيلاف في تاريخ بلاد الأحقاف، مرجع سابق، ص: 307

(50) عبدالله بن سعيد بن سليمان الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت، ط1، السعودية: دار الوفاق للنشر والتوزيع، 2012م، ص: 172

(51) عوض بن مبارك بامؤمن: الإيلاف في تاريخ الأحقاف، مرجع سابق، ص: 308

(52) عوض بن مبارك بامؤمن: الإيلاف في تاريخ الأحقاف، مرجع سابق، ص: 308

(53) عبدالخالق بن عبدالله صالح البطاطي: إثبات ماليس بمثبوت من تاريخ يافع في حضرموت، ص: 41

(54) عمر بن عبدالله بامطرف: دمُّون، مرجع سابق، ص: 72

Dammun Through the Historical Ages From the Capital of the Kingdom of Kindah in the ancient era to the Center of the Qu'aiti State in the modern era

Abdulqader Abdulrahman Ali Bin Shihab

Abstract

The study explores the historical development of the city of Dammun, beginning with its emergence as the base for the Kingdom of Kindah in the ancient era, and culminating in its pivotal role as an administrative, political, and cultural center of the Qu'aiti State in the modern era.

The study seeks to document and analyze Damon's political, cultural, and social roles across different historical eras. The study has adopted a descriptive and analytical historical methodology, exploring Damon's status in pre-Islamic times, its incorporation into the Islamic era, its governance under tribal factions, and its administrative importance during the Qu'aiti period. The study also underscores the necessity of preserving the city's historical and cultural identity.

Keywords: Dammun, Kingdom of Kindah, The Ancient Era, Islamic Era, Tribal Factions, Qu'aiti State, The Modern Era.